يهمنا في هذا المجال أن نشير الى بعض السمات التي يتميز بها البحر الأحمر ذات الصلة بالموضوع الذي نتناوله .

من هذه السمات أن البحر الأحمر بحر ضيق في عمومه يبلغ عرضه في المتوسط ١٩٠ ميلا ويصل في اقصاه الى ٢٤٠ ميلا ، ويضيق بشكل واضح في مداخله ممتدا في خليجين طويلين ضيقين وهما خليج السويس وخليج العقبة ـ في ناحية وحيث يتقارب جانباه الى أن ياتي ـ المدخل الآخر عند باب المندب في الناحية الأخرى ، هذا فضلا عن الجزر العديدة المنتشرة في هذه المناطق .

ولقد كان من نتائج هذه السمة ، سهولة التفاعل ـ صراعا وتعاونا ـ بين جوانبه وعلى مدى التاريخ (١) .

# أمن البحر الأحمر

ومن هذه السمات انه بحر يمتد طويلا ، ولكن بشكل يكاد يكون رأسيا بين الشمال والجنوب ، من مناطق الشمال المعتدل الى الجنوب المداري والاستوائي .

وهو حلقة طويلة وهامة في سلسلة الطريق البحري الهام بين المناطق المعتدلة والباردة في شماله وشماله الغربي من ناحية وبين المناطق المدارية والاستوائية في جنوبه وجنوبه الشرقي من الناحية الأخرى (٢) ، الأمر الذي يجعل من مصلحة الجانبين أن يقوم بينهما تبادل مفيد للمنتجات ، يزيد حجم التجارة العابرة على هذا الطريق ، وخاصة أنه الطريق الأقصر ـ وبوضوح ـ بين المناطق المتبادلة للتجارة على جانبي البحر الاحمر .

## بعض الملاحظات

# الجيوبوليتيكية

للدكتور ابراهيم صقر

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة

واذا أخذنا في الاعتبار أن انشاء قناة السويس قد جعل من هذا الطريق طريقا مستمرا لا تتخلله اية حلقة أرضية تفرض التفريغ واعادة الشحن ، هذا فضلا عن أن النقل البحري هو - وبشكل واضح - أرخص أنواع النقل .. فان هذا الطريق البحري ، المستمر الأقصر من الطرق المنافسة هو .. الطريق المتفوق - وبشكل بارز - في نقل التجارة الضخمة المشار اليها فيما سبق .. ومن ثم يكون البحر الأحمر - وهو حلقة طويلة على هذا الطريق - ذا أهمية كبيرة لهذه التجارة العابرة الضخمة .

وزاد من هذه الأهمية أن الطريق يربط ما بين البلاد المتقدمة عموما من ناحية والبلاد المتخلفة عموما والتي استعمرتها بلاد المجموعة الأولى - من ناحية أخرى .. الأمر الذي جعله طريقا هاما لخدمة التجارة بين هاتين المجموعتين من البلاد ، وهي تجارة تقوم على اختلاف مراحل التطور ، وعلى أساس من الاستغلال الاستعماري غير المتكافيء . وهي على أي الأحوال ذات أهمية خاصة بالنسبة للبلاد المتبادلة لها على جانبي البحر الأحمر .

وفي هذا المجال فقد ازدادت أهمية طريق السويس الاقتصادية والاستراتيجية وبشكل بارز .. ومن ثم ازدادت أهمية البحر الأحمر كمعبر للتجارة ، مع تزايد أهمية البترول ، وبروز أهمية الخليج العربي كمنتج ضخم وكمصدر أول في العالم له ومع أهميته الحيوية لأوربا الغربية وأمريكا .. على الجانب الآخر من الطريق .

ومن هذه السمات أيضا أن البلاد العربية تكاد تغطي كل شواطيء البحر الأحمر ، الا أن الوجود الاسرائيلي الصغير على خليج العقبة وأهمية البحر الأحمر كمنفذ لتجارة اسرائيل مع المناطق الى جنوبه وشرقه ، يجعل البحر الأحمر مجالا من مجالات الصراع بين اسرائيل والبلاد العربية . واذا كانت محاولات الوصول الى تسوية الدائرة منذ مدة الى الآن قد تخفف اذا انتهت الى تسوية - من الصراع بين اسرائيل وبعض البلاد العربية فان من المحتمل أن الصراع بين اسرائيل وبعض البلاد العربية الأخرى سوف يستمر وسوف يستمر لأمد غير قصير .. وسوف يعكس ذلك نفسه بالضرورة في البحر الأحمر .

ويمكننا أن نضيف الى هذه الصورة بعض الظواهر الهامة في عالمنا الراهن .. وهي ظواهر لها انعكاساتها على موضوع هذه الندوة ، أي على البحر الأحمر .. وعلى الصراع فيه .. وعلى مشاكل أمنه .

ومن هذه الظواهر ، ظاهرة تزايد أهمية الوطن العربي والشرق الأوسط ككل ·· بمنافذه المتعددة ·· المتنوعة ·· وفي اتجاهات شتى ، ببتروله ·· الأضخم انتاجا ·· واحتياطيا ·· وتصديرا ·· وأرصدة ·· وقوة مالية لها آثارها في العالم ·· متقدمة ومتخلفة ، بقدرته الشرائية الضخمة ، بتلاصقه مع جنوبي الاتحاد السوفيتي ·· أحد العملاقين ، بوجوده ·· كحلقة وصل متوسطة في قلب الثالوث القاري بكل ما له من أهميات خطيرة ، وعلى المداخل من الشمال والشرق للقارة الافريقية ··

وهذا ينقلنا الى الظاهرة الثانية التي تهمنا وهي تزايد أهمية القارة الافريقية في المرحلة الراهنة ·· بثرواتها الضخمة ·· والمتنوعة ·· والمتزايدة بما يكتشف من جديد فيها ، اليوم تلو اليوم ، بسوقها الكبير والمتزايد سواء لحاجات الاستهلاك ، أو الانتاج والنمو ·· أو كمجال للاستثمار ·· كبير ومتزايد بأهميتها الاستراتيجية ·· كمصدر لكثير من المواد ذات الأهمية الاستراتيجية ··

وكعمق لأوربا الغربية والشرق الأوسط ·· يقرب انبعاج فيه ( عند داكار ) من نصف الكرة الغربي ، كما لا تقرب أية نقطة أخرى في العالم القديم ·· ويبتعد طرف فيه ( في نهايتها الجنوبية ) عن الكتلة الشرقية كما لا تبتعد أية نقطة أخرى في الثالوث القاري ·· وكشاطىء تمر حواليه الطرق البحرية الهامة ·· طريق السويس وطريق رأس الرجاء الصالح ·· الخ ·

ويقود ماسبق الى الحديث عن ظاهرة ثالثة في عالمنا الراهن ·· وهي ظاهرة تزايد الصراع الدولي في ، وبين وعلى هذه المناطق ، وفي وبين وعلى بلاد العالم الثالث عموما ويظهر ذلك بشكل أبرز في نصف الكرة الشرقي ··

ذلك أن ما تحقق من توازن الرعب النووي أو توازن الردع النووي أدى – فيما أدى اليه – الى درجة أكبر من التركيز – في الصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية وبالأساس بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الاتحاد السوفيتي – على بلاد العالم الثالث ، التي تعاني الآن من درجة متزايدة من الاستقطاب ·

وتتفاعل هذه الدرجة المتزايدة من الاستقطاب مع درجة متزايدة من

الصراع الاجتماعي في بلاد العالم الثالث ، بين القوى التي تنشد التغيير لمصلحة الطبقات الأفقر التي تشكل الغالبية الساحقة في هذه البلاد ، بين القوى التي تحاول مقاومة التغيير أو تعطيله ·

وتتداخل مستويات الصراع أو دوائره المحلية والاقليمية والعالمية ، وتتساند فيه الجوانب ذات المصالح المشتركة أو المتقاربة ، في مواجهة الجوانب المضادة التي تتساند هي الاخرى ويدعم بعضها بعضا ·

وتتزايد حدة هذا الصراع ·· وتبرز ضراوته ·· وتستعمل فيه كل الوسائل المتاحة · وتزداد هذه الحدة بشكل واضح في المناطق ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية ·· ومن هذه المناطق ·· الوطن العربي والشرق الأوسط على وجه العموم ·· وكذلك القارة الافريقية ، وان كنا نخص بالذكر منها ـ وخاصة هنا ـ أي فيما يتصل بموضوع الندوة ـ منطقة القرن الافريقي :

من كل ما سبق يمكننا أن نقرر ، أن للمنافذ المختلفة ، وخاصة البحرية منها ـ في عالم اليوم الذي يموج بالصراع دورا كبيرا ·· واهمية متزايدة · وأن للبحر الأحمر أهميته الخاصة بين هذه المنافذ ·· وخاصة مع أهمية المناطق المحيطة به ··

وقد كثر الحديث في الماضي القريب ، وخاصة في الفترة الأخيرة عن البحر الأحمر ، وعن أمنه ، واهتمت بذلك الحكومات ، وتحركت الهيئات المختلفة للبحث والنقاش في الموضوع ويكفي أن نشير الى اللقاءات الحكومية المتعددة ثنائية ومتعددة الأطراف ، في العامين الماضيين بخاصة ، والى البيانات الصادرة عن هذه اللقاءات والتصريحات الى هذه الندوة التي فكر فيها من مدة ، وانتهت الى الشكل الذي تتخذه اليوم ، والى المشروع البحثي المشترك الذي يقوم به مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع لمؤسسة الأهرام ، بالتعاون مع مجموعات بحث من ايطاليا والمانيا الغربية (٣) ·

وفي منطقتنا ·· يتحدث البعض عن تحويل البحر الأحمر الى «بحيرة» عربية ، وعن السيطرة على «مداخله» أو «مخارجه» ، واغلاق العرب له على من يريدون ، أو دون من يريدون ، وعن أبعاد البحر الأحمر عن « نفوذ القوى الكبرى » ، وعن الصراع الدولي ·· الخ

وفي مناقشة هذه الأهداف ٠٠ نبدأ بابراز بعض النقاط المتصلة بالصراع الدولي الواسع الذي يعتبر مايجري في البحر الأحمر جزءا منه ٠ لا ينفصم عنه ٠٠ بل أن بينهما علاقة عضوية ٠

وبادىء ذي بدء ، فان مجرد السيطرة على الشواطىء ، أو على نقط ذات أهمية استراتيجية عليها ، أو على جزر ذات موقع هام في مرحلة معينة ٠٠ كل ذلك ، رغم أهميته ، فانه لا يضمن وحده ـ السيطرة البحرية في منطقة ما ٠٠

ذلك أن العنصر الأهم في السيطرة البحرية ، هو القوة البحرية ذاتها ٠٠ هذه القوة ـ اذا حققت تفوقا على غيرها ـ هي التي كانت تحقق السيادة في البحر ٠٠ وتعوق غيرها أو تمنعه ٠٠ وهي التي كانت تثبت مراكزها في النقط ذات الأهمية الاستراتيجية ٠٠ وتمنع غيرها من ذلك ٠٠ وكانت حتى تخرجه أحيانا منها أن حارس هذه « البوابات » والنقط الاستراتيجية على العموم هو الأساس ٠ أن « البوابات » والنقط الاستراتيجية لا تحقق في ذاتها ٠٠ سيطرة أو سيادة أنها تساعد وتدعم ٠٠ ولكن العبرة أساسا بالقوة التي تحقق السيادة والسيطرة ٠

ويكفي في ابراز ذلك ، أن نشير الى تفوق البرتغاليين ، بعد عصر الكشوف البحرية ٠ لقد فشل البنادقة والمصريون في مواجهتهم ، ووقف مدهم ، وتفوقهم في التجارة بين الشرق والغرب ٠٠ واكثر من ذلك فان الأسطول البرتغالي دخل الى البحر الأحمر وحتى خليج السويس ٠٠

وأن نشير الى تفوق الانجليز ، وسيطرتهم ، فيما بعد ، على ناصيته البحار ، ولمدة ثلاثة قرون تقريبا ، وفرضهم للسلام البريطاني ، كسادة للبحر في هذه الفترة ٠ ويكفي أن نشير هنا الى فشل نابليون في مصر والشرق ٠٠ وفشله بالنهاية في المواجهة الشاملة ، الى أهمية استمرار السيادة البريطانية على البحار فيما تلا ذلك من صراعات ٠ لقد أثبتت معيار الدولتين التاليتين فعاليته لقد كان التفوق في القوة البحرية هو الذي يحقق التفوق في البحر ، بل ويدعمه بسيطرة هذه القوة البحرية المتفوقة ، على النقاط ذات الأهمية الاستراتيجية ، وحرمان الغير منها ٠

ويمكن أن نشير أيضا الى ايطاليا ، والى أحلامها الكبيرة بتحويل البحر المتوسط الى « بحيرة ايطالية » ورفعها لشعار “Mare Nostrum”

لقد كانت النتيجة ، ليس فقط أن هذا الشعار لم يتحقق ، وانما أيضا أن خطوط اتصال الدولة الأم والامبراطورية قد تقطعت لقد كان التفوق في القوة البحرية عاملا هاما ٠٠ بل وحاسما وانتهى الحلم ٠٠ وانتهت الامبراطورية ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية ٠٠ كان التفوق البحري الأمريكي صارخا ٠٠ وفي كل مكان ٠٠ وفرض ماسماه البعض آنذاك « السلام الأمريكي » ولكن هذه الفترة لم تطل كثيرا ، اذ كان العملاق الآخر في العالم يزداد بروزه ٠ وبدأ هذا العملاق الثاني يمد زراعة البحري ، الى كل مكان في العالم ، بالتدريج وبسرعة ٠٠ ونحن نعيش اليوم ـ مرحلة العملاقين البحريين ـ كما هما عملاقان في كل مجال آخر ٠٠ الفارق بينهما وبين غيرهما كبير ٠٠ ، حتى أنه ليشار الى الآخرين ٠٠ أيا كانوا ٠٠ على أنهم الدول الأقل ( The Lesser Powers )

ان الدولتين العملاقين ٠٠ هي دول عالمية بحق Globol Powers وهي دول ذات مصالح عالمية ، تسندها قدرة على استعمال مالديها من أدوات متنوعة للقوة في أي مكان في العالم ، وفي أكثر من مكان ، في وقت واحد ٠ وهنا يمكن أن نرى أهمية وجود الدولة العملاق البحري ، الذي تسنده قواتها البحرية ٠٠ وقواتها على وجه العموم ٠

ونحن نعيش في ظل التوازن النووي ٠٠ مرحلة الانفراج ( Detente ) وهي مرحلة الصراع المحكوم ٠ ذلك أن الدولتين بينهما تناقض لا مجال للتوفيق فيه ، ومن ثم فلا مندوحة من استمرار الصراع بينهما ٠٠ ولكن بتحفظ أساسي ، هو ألا يؤدي الصراع الى حرب ، تتحول الى حرب نووية بينهما ٠٠ ومن هنا ، فانهما تديران الصراع بكل الوسائل المتاحة ٠٠ في اطار يقف بحركته عند احتمال أن تؤدي هذه الحركة الى صراع نووي ٠ وفي موضوعنا هنا ، نجد أن الدولتين العملاقتين اللتين تتعايشان في عالم اليوم مع صراع وتنافس ٠٠ تعملان في بحار مفتوحة بالكامل لهما ٠٠ ان أحدا غيرهما لا يستطيع اغلاقها وأن أيهما لا يتصور أن يفكر في حرمان الآخر من استعمالها ٠٠ الأمر الذي يعني حرمانه من تحقيق مصالح حيوية ، ومن ثم يؤدي الى مواجهة نووية لا يحتملها الطرفان ٠

ان لأمريكا مصالحها الحيوية في البحر الأحمر كمعبر للتجارة العالمية عموما ، ومعبر للبترول ، وحلقة هامة في انسياب قواتها البحرية على المستوى العالمي ، وتواجدها ، حيث تستدعي الأحداث ، داخل هذا البحر ، أو في مكان آخر ·· عن طريقه لتسند الأصدقاء وتردع الأعداء لتستعرض العضلات ، وتظهر الوجود ، وعلى أي الأحوال لتوازن الوجود السوفيتي بوجود أمريكي ··

وأن للاتحاد السوفيتي هو الآخر مصالحه الحيوية في البحر الأحمر كمعبر للتجارة العالمية وجزء هام من طريق حيوي يربط بين أجزاء الاتحاد السوفيتي ، وحلقة هامة في انسياب قواته البحرية على المستوى العالمي ، وتواجدها حيث تستدعي الأحداث ، داخل هذا البحر أو في أي مكان آخر ·· عن طريقه ، لتسند الأصدقاء وتردع الأعداء ، لتستعرض العضلات ، وتظهر الوجود ، وعلى أي الأحوال لتوازن الوجود الأمريكي — والوجود الغربي عموما — بوجود سوفيتي ·

ان جزءا من عالمية مصالح الدولتين العملاقتين وقوتهما ، هو تواجدهما في كل مكان على ظهر البسيطة ·· ومن ثم ، لا يمكن أن ينغلق عنهما أي بحر عام ، مهما كان صغيرا ، أو ضيقا ، ولا يتصور احد أن تسمحا بذلك · ومهما امتنعت القواعد والتسهيلات فسوف تعملان على التواجد ، مهما كلفهما الأمر ·· وقد يكون ذلك صعبا ·· ولكنه ليس مستحيلا بأي حال من الأحوال ··

أن التموين في البحر حقيقة قائمة ·· وأبعاد كبيرة ·· ويعوض عدم توفر التسهيلات الأرضية الكافية أن التقدم في بناء السفن ، والتطور في استعمال الوقود لا يحتاج الى وجود قواعد متعددة ·· متقاربة ·· كما كان الأمر يقتضي في الماضي ·· حتى الماضي القريب · ثم أن التقدم في الطيران الاستراتيجي ، والامكانيات الضخمة في نقل القوات المحمولة جوا ·· تشكل عند اللزوم ، سندا هاما للقوات البحرية ، في قيامها بمهماتها في اماكن كثيرة في العالم ·

وينبغي علينا أن نذكر بنقطة هامة ·· وهي انه في هذا العالم ، الذي يزداد فيه التركيز في الصراع على بلاد العالم الثالث ، وتتداخل فيه دوائر الصراع ، فان من غير الصحيح ، أن يتصور البعض ، أنه بحرمانه

جانبا عملاقا من استعمال تسهيلات كان يستعملها سابقا ، يمكنه أن يحرم هذا الجانب ، من الوجود في منطقة ما ، والتأثير فيها بفاعلية ·· ذلك أن الدولة العملاق الى جانب أنها لن تسمح بذلك ، مهما كلفها الأمر (٥) · فانها عادة ما تكسب تسهيلات في أماكن أخرى ، حين تفقد التسهيلات في بعض الأماكن · ويكفي أن نشير على سبيل المثال الى أن السوفييت ، في الوقت الذي خسروا فيه بعض التسهيلات في البحر الأحمر وما وراءه ، في مصر والسودان والصومال فان التسهيلات التي يتمتعون بها قد زادت في اليمن الجنوبية واثيوبيا وفي أماكن عدة في المحيط الهندي ·

ولو تصورنا من الناحية الافتراضية البحتة ، أن القوى المحلية وقفت جميعها معا ـ وهذا في الظروف السائدة في المرحلة التي نعيشها ، افتراض غير واقعي ـ وأن هذه القوى أرادت أن تحول بحرا ما الى « بحيرة » فيما بينهما ، وأن تبعد عنه الدول العملاقة ، والصراعات الدولية فيما بينها ·· فان ذلك أمنيات لا يمكن أن تتحقق ·· أن التواجد في البحر الأحمر ، كحلقة في سلسلة طرق الملاحة العالمية ترتبط بما وراءها من المنافذ البحرية ·· بل أن التواجد في البحر الأحمر ذاته ، كواحد من بحار العالم ، وبأهميته الاستراتيجية الكبيرة ·· كل ذلك مسائل أساسية · ولا يمكن ابعاد القوى العالمية عن هذا البحر ·· مهما كانت المحاولات ·· فضلا عن الأحلام والأماني ·

بل ان الصراع والتنافس بين الدولتين العملاقين ·· لا يفرض فقط أن يتواجد العملاقان في البحر الأحمر ·· وانما يعطى للآخرين ·· درجة أكبر من حرية الحركة فيه ·· ولا يمنع أحدا من استعمال هذا البحر ذي الصفة الدولية ·· وذي الأهمية الاستراتيجية ·

ان الدول الأقل ( The Lesser Powers ) الكبيرة ·· فضلا عن الأعراف الدولية ·· وحرية ذرع البحار ·· تتمتع بدرجة أكبر من حرية الحركة عن ذي قبل ·· وهي عادة ما تنتمي الى كتلة ·· في الصراع ·· في مواجهة الأخرى ، ومن مصلحة أصدقائها ·· أن تتواجد فتضيف نشاطا ·· وتضيف قوة ·· وتضيف مساندة · ومن المهم أن نضيف هنا ·· أنه في عالم التدخل غير المباشر ، الذي نعيشه في هذه المرحلة ·· في عالم التدخل (Intervention By Proxy) فاننا كثيرا ما نجد لهذه الدول نصيبا هاما عند توزيع الأدوار ( Role Distribution ) وفي لعب هذه الأدوار ·

أن وجود هذه القوى في البحار .. ضروري لها .. وضروري لغيرها .

ان الدول الصغيرة هي الاخرى .. فضلا عن الأعراف الدولية .. وحرية ذرع البحار .. تتمتع بدرجة أكبر من حرية الحركة عن ذي قبل .. وبعضها – على الأقل – يلعب دورا بالوكالة في المنطقة التي يقوم فيها .. وهو بذلك .. اذا كان لا يربح طرفا ما في صراع العمالقة والكتل فانه يقدم شيئا .. وقد يكون شيئا كثيرا .. على المستوى الاقليمي .. للطرف العملاق الآخر بمساندته اتجاها سياسيا أو جماعة معينة ، أو بمحاربته اتجاها سياسيا أو جماعة معينة وحرية حركة هذه القوى في البحار .. ليست فقط مسألة حيوية لمصالحها هي .. وانما هي كذلك مسألة ضرورية لحركة الكبار .. وتفاعلهم في الاطار الدولي الراهن .

وفي عصر تداخل مستويات أو دوائر الصراع .. الذي نعيشه في عالمنا – مع طقس التعايش المتنافس السائد .. فان الدول الأصغر .. في الاقليم .. فضلا عن الأعراف الدولية .. وحرية ذرع البحار .. تتمتع – في ظل أصدقائها الأكبر – بدرجة أكبر من حرية الحركة .. لم تكن تحلم بها من قبل .

ان الضغط والمنع .. والحرمان – في ظروف الاستقطاب الدولي بما يتسم به من صراع محكوم .. تعايش .. وتنافس في وقت معا – مسألة غير واقعية ولا يمكن أن يتصور .. الا اذا اتفق عليه العملاقان .. أو سكت عنه العملاقان معا ، وفي وقت واحد .. وهذا شيء ، لا يسهل تصوره ، في ظل الصراع الدولي القائم اليوم .

وهذا ينقلنا الى مايزعمه البعض .. وما يتمناه البعض الآخر .. من أن ينجح العرب اذا اجتمعت كلمتهم – في أن يغلقوا البحر الأحمر على اسرائيل . ويهمنا هنا – أن نتناول الأمر بشيء من الموضوعية ..

( أ ) فحتى لو تصورنا أن تتحد كلمة كل الدول المطلة على البحر الأحمر – فيما عدا اسرائيل – على منع هذه الدولة من استعمال البحر الأحمر .. فان هذا لا يضمن تحقيق الهدف لأن هناك – بالمصلحة والضرورة والواقع – دولا خارجية ، يمس هذا التصرف مصالحها ومكانتها .. ولا تستطيع أن تسكت عليه .. وهي قادرة على شل حركة من يحاولون هذا المنع . وليس من مصلحة الجانب الآخر .. في الصراع الدولي المحكوم

الذي نعيشه ·· أن يساعد على هذا المنع · بما يحمله من معان ·· وما قد يؤدي اليه تصرفه من مضاعفات ·

(ب) هذا فضلا عن افتراض أن تتحد كلمة كل الدول المطلة على البحر الأحمر ·· في ظروف الاستقطاب التي يمر بها بلاد العالم الثالث ·· افتراض غير واقعي ·

(جـ) بل ان افتراض أن تتحد كلمة كل الدول العربية المطلة على البحر الأحمر ·· في ظروف الاستقطاب والصراع الاجتماعي التي تمر بها بلاد العالم الثالث ·· افتراض غير واقعي ·

(د) ولقد اثبتت تجربة الحرب الأخيرة مع اسرائيل ، بعد أيام من بدئها ، أن محاولة اغلاق البحر الأحمر على اسرائيل ، لا يمكن أن تستمر ·· لأن الكتلة الغربية ·· والولايات المتحدة بالأساس ·· لا يمكن أن تسمح بها ·

(هـ) هذا فضلا عن أن لاسرائيل مخرجا آخر على البحار ، عن طريق البحر المتوسط ·· ورغم أن هذا المنفذ ـ وكان هو منفذ اسرائيل الأساسي الى أفريقيا الشرقية والى جنوبي وشرقي آسيا ·· رغم أنه منفذ أطول كثيرا مما لو استعمل البحر الأحمر كمنفذ الى هذه المناطق · فان اسرائيل ، قبل عام ١٩٥٦ ، لم تركع على ركبتيها في صراعها ، ولم تشل حركتها مع المناطق المذكورة ·· ولقد أظهرت الأحداث فيما بعد ، أن اغلاق البحر الأحمر على اسرائيل مسألة لا يمكنها ·· ولا يمكن لأصدقائها الكبار أن يسلموا بها ويسكتوا عليها ·

(و) وبعد كل هذا ·· فالكلام في هذا الموضوع هذه الأيام ·· بعد ، ومع محاولات الوصول الى تسوية نهائية مع اسرائيل ·· وهي تسوية تضمن بنصوص واضحة ـ حرية حركة اسرائيل ·· وحرية الحركة منها واليها ·· يصبح غير ذي موضوع ·

ويمكن أن ننتهي من كل ما سبق ، الى أن السيطرة المطلقة على البحر الأحمر ـ في الظروف الدولية السائدة ـ بواسطة قوة من خارجة ، أو قوة أو عدة قوى داخل هذا البحر ·· أمر غير وارد ·· وترتبط بهذه الحقيقة الحقيقة التالية ··

وهي أن ابعاد أية قوة عن البحر الأحمر ، أو منع أية قوة ، داخلية أو خارجية ، من أن تذرع هذا البحر وتستعمله ، وتمر منه الى ما وراءه ٠٠ هذا الابعاد ٠٠ أمر غير وارد ٠ ومن ثم فان ابعاد البحر الأحمر عن وجود القوى الكبرى ٠٠ أمر غير وارد ٠٠ ذلك بارز اليوم ، كما لم يبرز في اي وقت مضى ٠٠ في ظروف الاستقطاب السائد في الظروف الراهنة ٠٠ ومع ظروف التداخل الشديد بين مستويات أو دوائر الصراع ٠٠ محلية كانت أو اقليمية ٠٠ أو عالمية ٠٠

ان تشابك المصالح وترابطها بين الجوانب المتقاربة ، على المستويات الثلاثة ٠٠ من ناحية وتعارضها مع المصالح المتشابكة والمترابطة بين الجوانب المتقاربة ، على المستويات الثلاثة ٠٠ في الطرف الآخر للصراع ٠٠ من ناحية أخرى ٠

هذا مع امكانية العمل المشترك ٠٠ وفاعليته الأكبر ٠٠ يجعل من مصلحة الأطراف المتصارعة ، تواجد الأصدقاء ٠٠ على المستوى الاقليمي ٠٠ وعلى المستوى الدولي الأشمل ٠٠ هذا التواجد مسألة بالقطع مفيدة ٠ ومن ثم فهي مسألة تهم هذه الأطراف لدعم المساندة في المواجهة ٠

بل أن وجود القوى الصديقة لدولة ما أو عدد من الدول في بحر ما ، سواء أكانت هذه الدول الصديقة من داخله أو من خارجه ، فضلا عن أن أحدا لا يستطيع أن يمنعه ببساطة ، فانه مفيد لهذه الدولة أو هذه الدول ، من حيث أنه يوازن وجود الآخرين ٠٠ من غير الأصدقاء ، ومن حيث أن هذا الوجود ، في ذاته ، يشكل رادعا لمن قد تحدثه نفسه من غير الأصدقاء بالتحرك المضاد ٠

وفي ضوء كل ما سبق فان التحدث عن تحويل البحر الأحمر الى بحر « محايد » أو « بحر سلام » كما يدعو البعض ٠٠ لن يتجاوز مجرد الكلام ، ولا يمكن أن يتحقق في ظروف عالم اليوم ٠ ويكفي أن نشير هنا الى ما حدث بالنسبة لتحويل المحيط الهندي الى « بحر سلام » ، وازالة القواعد العسكرية الموجودة في أجزائه المختلفة ، وذلك ، رغم قرارات الأمم المتحدة ، ورغم بيانات مجموعة دول عدم الانحياز ٠٠ الخ ان أقصى ما قيل قريبا من هذه « الحيدة » على لسان دولة كبرى ٠٠ هو أن يتحقق ذلك على أساس المساواة ٠

ومن ثم ٠٠ فما كان وجود طرف قائما ومستمرا فان الطرف الآخر

سيسعى للتواجد والاستمرار ولن تتوقف هذه العملية لقرار يتخذ هنا – أو رغبة تبدى هناك .. بل أن بعض الأطراف المحلية والاقليمية – قد ترى تواجدا ما مفيدا اليها ، بعكس تواجد ما في الجانب الآخر من الصراع – فيغض الطرف عن التواجد الأول ، وتحمل بشدة على التواجد الثاني ، ويغلب أنها حين تتحدث عن ابعاد « القوى الكبرى » والنفوذ الأجنبي ، انما تقصد التواجد الثاني دون التواجد الأول .

يبقى بعد ذلك موضوع هام وهو العمل على تطوير التعاون بين البلاد المطلة على البحر الأحمر ، وهو همزة وصل تجمع فيما بينهما . سواء أكان ذلك بين كل بلاد البحر الأحمر أو بين البلاد العربية المطلة عليه .

ولا يمكن أن يكون عاقل ضد محاولات تطوير هذا التعاون والتنسيق بين هذه البلاد سواء فيما بين نشاطاتها كدول ، أو في عملها المشترك على استغلال ثروات البحر الأحمر ذاته .. والعمل في هذا المجال بأقصى الطاقة والى أقصى مدى ممكن أمر مطلوب (٦) ..

وتدخل في هذا المجال قضية حيوية ، هي قضية الأمن في كل بلاد البحر الأحمر ، قضية الأمن الجماعي لبلاده العربية ، أو لبلاده جميعا . ولا شك أن العمل المشترك في هذا المجال أمر مطلوب .. وكما ذكرنا سابقا ، لأقصى مدى ممكن ..

وتدخل في هذا المجال أيضا قضية حيوية أخرى ، هي قضية تأمين حركة البترول عبر البحر الأحمر الى الشمال والغرب . والى جانب ما أشرنا اليه ، متصلا بهذا الموضوع ، في مكان سابق من هذا البحث ، فنكتفي هنا بأن نقرر أن هذه مسألة حيوية بالنسبة للكل ، بما في ذلك الدول الكبرى والعملاقة ، الأمر الذي يجعلها تهتم باستمرار انسياب البترول بحرية ، في جميع منافذه . هذا فضلا عن وجود طريق بديل ، للطريق الذي يمثل البحر الأحمر حلقة هامة فيه ، وهو طريق رأس الرجاء الصالح .

ونختتم حديثنا بأن البحر الأحمر سيبقى ولأمد غير قصير – بحرا مفتوحا للجميع . وأن البحر الأحمر سيبقى – ولأمد غير قصير – مجالا للتعاون ، ومجالا للصراع ، بين دولة عربية أو غير عربية .. مع تداخل بين ذلك وبين الصراعات العالمية في المنطقة وعليها .

ولا يمكن ان يهدأ الوضع فيه ، بما يوسع دوائر التعاون ويعمقها ، الا اذا استقرت الأمور على أساس سليم من رضى الشعوب ، في أجزائه المختلفة ، وفيما بين هذه الأجزاء ، وفيما بين هذه القوى الفاعلة في الصراع الدولي على وجه العموم ·

---

## الهوامش

١ ـ وهذا يتضمن الاتجار بين اجزائه المختلفة في منتجاتها المختلفة ·

٢ ـ وفيما يتصل بالمناطق المعتدلة الى الجنوب والجنوب الشرقي فان اختلاف الفصول بين الشمال والجنوب يؤدي ايضا الى قيام تبادل تجاري بين المناطق التي تقع على جانبي البحر الأحمر ·

٣ ـ اذا نظرنا الى البحر الأحمر كجزء من وامتداد للمحيط الهندي فاننا نلاحظ الاهتمام المتزايد بالمحيط الهندي وكثرة الدراسات والبحوث واللقاءات التي تناولت هذا المحيط ·· وخاصة في السنوات العشر الماضية · ولازال هذا الاهتمام بالمحيط الهندي يتزايد باطراد ·

٤ ـ لو كان ما نعيش فيه مرحلة وفاق (entente) بين الدولتين العملاقين كما يتصور البعض لاختلف الوضع عما هو عليه ، بشكل جذري ، ولانطلقت ايدي الدولتين ـ في توفيق وتنسيق ـ في السيطرة وتقسيم العالم الى مناطق نفوذ ، بدرجة لا يمكن ان تحدث في الظروف التي نعيشها ·

٥ ـ يكفي ان نشير ، على سبيل المثال ، الى تحركات القوات البحرية الامريكية من الفلبين والقوات السوفيتية من فلاديفوستوك ، الى المحيط الهندي في الأيام الأخيرة ، والى وجود سفن تموين مع هذه القوات ·

٦ ـ على أننا لابد وان نحتفظ ـ مرة اخرى ـ مذكرين ، بان في الظروف الراهنة ، عناصر تعمل آثرها ، وتضع الحدود والقيود ، على انطلاق هذا التعاون والتنسيق ··· وان ما يتسم به الوضع الراهن ، من تركيز على بلاد العالم الثالث ، وخاصة المناطق ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية فيها ، ومن تدخل ، ومن تداخل بين مستويات الصراع المتعددة ، لابد ان ينعكس على هذه المنطقة ، ويترك آثاره فيها ·